هذا ما اردنا تلخيصه من كتاب العالم فيك وقد اقتصرنا على المباحث الفلسفية واضفنا اليها ما نتم به الفائدة من اقوال شعرائنا وادبائنا

آمال الأمة المصرية

اذ ذكرت واجبات الجرائد الصادقة في خدمة الوطن وجب ان يذكر في صدرها بسط آمال الامة لدى ولاة امورها وطالما اطلقنا عنان القلم في هذا المضمار في جريدتنا السياسية ولا نرى بأساً بالاعادة لاسيما وان آمال الامة تقوى عاماً فعاماً ومطالبها من حكامها تزيد سنة بعد أخرى وتشتد شكواها مما لا يوافق مصلحتها كلما اطلقت الحكومة يدها في اعطائها مطالبها

وفي بسط آمال الامة لا بدّ من الشروع في مراكز الادارة ودواوين الحكومة . ولقد ابنا مراراً عديدة ان حكومة الديار المصرية قد فاقت في ارتقائها ارتقاء البلاد فلا تماثلها حكومة من حكومات المشرق في حسن انتظامها واذا قوبلت بحكومات المغرب امكن وضعها بين احسنها انتظاماً حتى لقد سمعنا مراراً كثيرة من بعض فضلاء الاميركيين الواسعي الاختبار المطلعين على سياسات الامم ان حكومة الديار المصرية خير من حكومة الولايات المتحدة الاميركية واكثر منها إحكاماً واحسن انتظاماً

واذا تركنا التعميم ونظرنا في حال كل ديوان من دواوين الحكومة وإدارة من ادارتها رأينا ان اكثرها قد بلغ الغاية القصوى من الإحكام والانتظام فنظارة المالية عندنا تقابل بنظارة المالية في فرنسا وانكلترا ورجالها مثل اعظم الرجال كفاءة في ارقى الممالك حضارة . والبريد وهو فرع من فروع المالية قد بلغ من الانتظام حداً لا يفوقه فيه انتظام البريد في مملكة من ممالك اوربا . والحربية قد جمعت من القوّاد الاكفاء والجنود البواسل من يباهى بهم قوّاد اعظم الممالك وجنود ارقى الشعوب . وقس على ذلك المحاكم وادارة الري ولكن لابدّ من ترشيح الوطنيين ليقوموا مقام الاوربيين في هذه الدواوين وهذه هي الامنية الاولى

والامنية الثانية ويجب ان تكون الاولى في الذكر لانها الاولى في الاهمية هي توسيع نطاق التعليم والمكاتب ونحن في غنى عن اقامة الادلة على ذلك وعلى ان التعليم هو الاساس الوطيد للاستقلال الادبي والمادي ولكل ارتقاء وفلاح . ومع وضوح هذا الامر لا نرى ان الحكومة تنفق الآن على التعليم العمومي قدر ما يجب ان تنفق بالنسبة الى ميزانيتها . فقد قلنا ان دواوينها مثل دواوين ارقى الممالك ولكنها لا تنفق على التعليم ثلث ما يجب ان

تنفق بالنسبة الى ميزانيتها اذا ارادت ان تجاري ممالك اوربا . فيجب ان تكون ميزانية المعارف ثلثمئة الف جنيه على الاقل بدلاً من ثمانين الف جنيه او تسعين الفاً كما هي الآن واذا زاد المال امكن زيادة المدارس اضعاف اضعاف ما هي الآن لان الادارة المركزية التي ينفق فيها جانب كبير من ميزانية المعارف تبقى على حالها وتنفق الزيادة كلها على المدارس . ولا نجهل الاعتراض الكبير الذي يعترض به علينا وهو ان المدرسون لهذه المدارس وجوابنا عن ذلك مثل جوابنا عن رجال الادارة . فتشوا عنهم تجدوهم . واذا تعذر ايجاد المدرسين الذين تعلّموا علم التدريس الآن فما المانع من توسيع مدرسة دار العلوم حتّى تسع مئتين او ثلثمئة طالب وتوسيع مدرسة المعلمين وانشاء مدرسة أخرى على هذا النمط لتعليم الشبان كيفيّة التعليم . فاذا صرفت نظارة المعارف همتها في هذا السبيل لم يمضِ عليها سنتان حتّى تجد عندها خمسمئة مدرس يكفون لثلثمئة مدرسة . ويتلو ذلك تكثير المدارس العالية التي يتخرّج فيها الشبان في العلوم العمليّة كالادارة والصناعة والزراعة فان كل ذلك ميسور ولاسيما في هذا الزمان

والامنية الثالثة ان تعجل الحكومة في انشاء الخزانات اوما يقوم مقامها لان المياه الصيفيّة لا تكفي القطر في الوقت الحاضر فكيف اذا أُصلحت اراضٍ كثير من الاراضي الصالحة للزراعة واذا اراد سكان الوجه القبلي ان يزرعوا جانباً من اطيانهم زراعة صيفيّة . فقد قدّر المهندسون ان في الوجه البحري اربعة ملايين وتسع مئة وخمسة وخمسين الف فدان من الاراضي الزراعيّة وان فيه ايضاً مليوناً ومئتين وستين الف فدان من الاراضي التي يمكن زراعتها لو كان الماء كافياً واذا زُرع ثلث الاطيان الاولى صيفاً وثلث هذه ايضاً احتاجت من الماء يومياً الى ٩٢ مليون متر مكعب مع ان متوسط ما يجري في النيل حينئذٍ لا يزيد على ٤٣ مليون متر مكعب . فمن اين الماء الكافي لري هذه الاطيان وري اطيان الوجه القبلي والجواب ان الماء يجري في النيل هدراً في ايام الفيضان وتعطش الارض في ايام التحاريق فاذا استطاع حكام مصر بمساعدة من استخدموهم من المهندسين ان يبنوا القناطر الخيريّة لري الوجه البحري فكيف يتعذّر عليهم انشاء شيء يماثلها في الوجه القبلي او في وادي الريان لجمع مياه الفيضان وري الارض بها ايام التحاريق . ويقال عن ثقة ان ملوك مصر الاقدمين كانوا يفعلون شيئاً من ذلك فمن العار ان يعجز ابناء العصر التاسع عشر عن عمل ما استطاعه اهالي العصور السالفة

واذا شدّدنا الكلام على وجوب استخدام الوطنيين وترشيحهم لكل المراكز العالية لم نجد

كلامًا ينبي بالحاجة في التشديد على الحكومة لكي تهتم بخزن مياه الفيضان لان مصالح الحكومة التي يتولاها الاوربيون لا تزيد وارداتها على مئتي الف جنيه او حوالها وهب ان هذا المال يأخذهُ هؤلاء الاجانب ولا ينفقون غرشًا منهُ في البلاد بل يبعثون بهِ الى اوطانهم البعيدة فهو ليس شيئًا يذكر في جنب ملايين كثيرة من الجنيهات تضيع سدًى كل عام لعدم خزن مياه الفيضان . ولا يُنكر ان للاستخدام مزيَّة ادبيَّة غير المزيَّة الماليَّة اي ان الامة اولى بمناصب حكومتها من باب ادبي كما هي اولى من باب مالي وهذه المزيَّة الادبيَّة لا تقدَّر بالمال . ولكن ثروة الاهلين لها مقام ادبي لاسيما لانهُ اذا زادت ثروتهم زاد دخل الحكومة ايضًا واذا زاد دخلها زادت قوةً ومنعةً . والمال اساس القوَّة في هذا الزمان

والامنية الرابعة الاهتمام بالصناعة الوطنيَّة والاخذ بيد الوطنيين لانشاء الشركات الصناعيَّة ولاسيما ما كان منها ميسورًا في هذا القطر لوجود موادهِ فيهِ كالحياكة والوراقة والدباغة واستخراج زيت القطن وعمل الصابون منهُ وعمل الخزف والزجاج وما اشبه فان هذه الصنائع لابدَّ لها من تعضيد الحكومة في اول الامر حتَّى لا ييأس اصحابها اذا رأوا كثرة النفقات قبل ان تكثر الارباح

والامنيَّة الخامسة انشاء المجالس البلديَّة لتهتم بنظافة المدن وتنظيمها وكل ما يدعو الى راحة الاهلين ورفاهتهم وحفظ الصحة العمومية . فقد اشتهر القطر المصري بصحة مائهِ وجودة هوائهِ والاجانب الذين يسكنون فيهِ لا تزيد وفياتهم على عشرين او خمس وعشرين في الالف في السنة مع ان الوطنيين تزيد وفياتهم على اربعين وخمسين في الالف في السنة . ولا ينكر ان السبب الاكبر لذلك هو عدم انتشار التعليم بين الوطنيين كما هو رأي دولتلو رياض باشا ولكنَّ الذي يجول في ازقة الوطنيين و يرى العفونات التي فيها وفي بيوت السكان لا يستطيع ان يبرئ الحكومة من ذلك . فاذا كانت لا تستطيع النظر في هذا الامر لاتساع اعمالها وكثرة مشاغلها فلا اقل من ان تسمح بانشاء المجالس البلديَّة وتطلب من كل مجلس اصلاح شؤون بلدهِ فتصير هذه المجالس اكبر مساعد للحكومة على تنظيم المدن وارباضها والاهتمام بصحة اهاليها

وما يتعذر تصديقهُ ان بعض دول اوربا عارضت في انشاء هذه المجالس ولكن هذا لا يمنع الحكومة من استئناف الطلب ولاسيما اذا اخذ مجلس شوراها هذه المسألة بعين الاهمية واصرَّ على طلبها من الحكومة ومن دول اوربا فاننا لا نظن ان الدول المعارضة تصرُّ على معارضتها حينئذٍ . ومهما تكن المصاعب فان الامة تنتظر حل هذا المشكل لان نموَّها وقوتها يتوقفان على صحتها ولا صحة اذا كان هواء المنازل والشوارع فاسدًا